الخاتمة

تمخضت هذة الدراسة عن رصد دور مكناسة الشمال فى بلاد المغرب الإسلامى ، فحققت بعض التواريخ التى اضطربت فى المصادر ، كما أسفرت عن بعض الجديد فى مجال الرأى ، وعلى صعيد تحقيق التواريخ فعلى سبيل المثال حددت الدراسة توقيت تحول قبيلة مكناسة إلى الإسلام ، وإن ذلك تم قبل فتح المسلمين للمغرب الأقصى حيث معظم مضارب مكناسة . وحققت الدراسة أيضاً السنة التىخلع فيها زعيم مكناسة الشمال طاعة الفاطميين ، وإعلان دخوله فى طاعة الأمويين إذا اضطربت المصادر فى ذلك وأوردت عدداً من التواريخ لهذا التحول. وفى مجال التحقيق أيضاً حددت الدراسة السنة التى توفى فيها موسى بن أبى العافية زعيم مكناسة الشمال والتى أوردت فيها المصادر الإسلامية تواريخ متعددة.

وفى مجال الرأى رصدت الدراسة مضارب قبيلة مكناسة فى المغرب الأقصى والمغرب الأوسط وإفريقية مبينة وجود بطون مكناسية عديدة فى إفريقية خاصة بلغت من العدد ما مكنها من أن تلعب دوراً فى تاريخ المنطقة ، وذلك على عكس الشائع من أن مكناسة لم يكن لها دور سوى بالمغرب الأقصى وشرحت الدراسة دور قبيلة مكناسة فى ثورة البربر الكبرى ، وسبب خروجها من الثورة الذى أفضى إلى انقسامها إلى مكناسة الجنوب التى أسست دولة بنى مدرار فى سجلماسة ، ومكناسة الشمال التى كانت محل هذه الدراسة التى تابعت دور مكناسة الشمال فى المغرب الأقصى الذى بات منطقة فراغ سياسى بعد تقلص سلطة الخلافة الأموية عنه وناقشت الأسباب التى أفضت إلى ضعف مكناسة الشمال بالمغرب الأقصى حتى أنها لم تستغل الفراغ السياسى لبسط سلطانها على المنطقة كما فعلت بعد ذلك فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، ونجم عن تفرق بطونها وصراعها مع بعضها البعض أن خضعت للأمارات والدول التى قامت بالمغرب الأقصى ؛ فخضعت بعض بطونها لإمارة نكور ، ودارت أخرى فى فلك دولة الأدارسة ، ولم تغفل الدراسة عن دور بطون مكناسة فى إفريقية ، فرصدت ذلك الدور فى ثورات الخوارج الأباضية على ولاة الخلافة العباسية. وتحدثت الدراسة عن ظهور

مكناسة الشمال كقوة لها وزنها فى المغرب الأقصى حتى خطب الأمويين بالأندلس والفاطميون بإفريقية ودها ، وكيف عمل الفاطميون على استقطاب زعماء مكناسة للعمل كقادة وولاة فى دولتهم ليتمكنوا من استمالة زعيم مكناسة الشمال بالمغرب الأقصى واتخذ الفاطميون من موسى بن أبى العافية زعيم مكناسة الشمال آداه لتحقيق مآربهم فى السيطرة على المغرب الأقصى والوقوف فى وجه أطماع أموى الأندلس بالمنطقة . ورصدت الدراسة الدور الذى لعبته مكناسة الشمال فى هذا الصدد ، بيد أن الفاطميين لم يحققوا لزعيمها مبتغاهم إذكان طموحه أكثر مما سمح الفاطميون له ، ومن ثم خلع طاعتهم ؛ فتعرض لنقمتهم ، ووالوا إرسال الجيوش إليه حتى نجحوا فى فل قوته وتشتيت جموعه ، وتفريق بطون مكناسة بعد اقصائها عن مضاربها.

رصدت الدراسة كذلك طبيعة العلاقة بين مكناسة الشمال وأمراء الأدارسة ، وكيف أن زعيم مكناسة الشمال رأى فى أمراء الأدارسة حجر عثرة فى سبيل تحقيق بغيته وبسط نفوذه على المغرب الأقصى وإقامة إمارة مكناسة الشمال به ؛ فأعلن الحرب عليهم واتخذهم هدفه ، وواصل مطاردتهم شرقى مضارب قومه وغربها ، ووسع نطاق سلطانه على حسابهم ، بيد أن الأسلحة أعوزته للقضاء عليهم ولم يمده حلفاؤه الفاطميون بما أراد من سلاح وعتاد ، لذا لم يحقق الأمل الذى أراد وإن حقق انتصارات عديدة على الأدارسة وتناولت الدراسة أيضاً علاقة مكناسة الشمال بإمارة نكور ، وأبلنت أنها اتخذت طابع الود حيناً والعداء أحياناً لأن زعيم مكناسة لم يكن يرتضى قوة أخرى تنافسه فى المغرب الأقصى. ولم تغفل الدراسة علاقة مكناسة بالقوة الناشئة فى المغرب الأوسط المتاخمة لحدود مضارب قومه تلك هى قوة قبيلة زناتة التى بسطت سلطانها على غربى المغرب الأوسط وحالفت الأدارسة هناك. مما كان سبباً فى أن هاجم زعيم مكناسة مضاربها وحقق عليها نصراً ، ولكنه خشى بأس زناتة ، وأن يشتت قوى قومه فى أكثر من جهة ومن ثم تقاعس عن الاستمرار فى العداء ، واستبدله بتبيان الود خاصة أنه خلع طاعة

الفاطميين آنذاك ، ودخل فى ولاء أموى الأندلس ، ومعلوم أن قبيلة زناتة كانت حليفة للأمويين معادية للفاطميين.

ناقشت الدراسة أسباب تحول زعيم مكناسة بولائه من الفاطميين إلى الأمويين مبينة أن الفاطميين قيدوا سلطانه بالمغرب الأقصى ، ولم يمكنوه من القضاء على الإمارات الإدريسية هناك كما استولوا على معظم خيرات المغرب الأقصى وطالبوه بكثير من الضرائب فى الوقت الذى مناه الناصر الأموى بإطلاق يده فى المغرب الأقصى على ما تحت يده ، وما يفتحه من مناطق ، وأنه لا يريد منه درهماً ولا ديناراً ، وأن مطلبه الوحيد الدعاء له على المنابر. ورصدت الدراسة الخطوات التى اتبعها زعيم مكناسة الشمال قبل خلع طاعة الفاطميين لتأمين المغرب الأقصى وقومه من انتقامهم وتابعت الدراسة علاقة زعيم مكناسة الشمال مع أموى الأندلس ، وإمداد الأمويين له بالأسطول فى حربه مع أمراء الأدارسة وإمداده بالعدد والعتاد ومؤازرته فى رد عادية الفاطميين عن المغرب الأقصى ، بأن أمرت القبائل البربرية الموالية لها فى المغرب الأقصى بالانضمام إلى زعيم مكناسة فى حرب الفاطميين ، كما أن الأمويين لم يتخلوا عنه بعد أن شتت الفاطميون جموعهم ، وإنما أعانوه بالمال والمؤن ، وأمدوه بالفنيين لاستعادة ما فقده ، وإقامة حصن يمتنع به إذا ما عاود الفاطميون الكرة.

رصدت الدراسة كذلك مآل مكناسة الشمال بعد وفاة زعيمها واقتسام أولاده ما كان تحت يده ، واندلاع الصراع بينهم من أجل توسيع رقعة النفوذ مما أفضى إلى ضعف مكناسة الشمال وتعرضها لغزو قبيلة زناتة التى أقصتها عن مضاربها مما دفع أحد زعماء مكناسة الشمال الذى نجح فى توحيد بعض بطون مكناسة الشمال إلى الجواز إلى الأندلس والعمل فى جيشها كجند مرتزقة ، حتى واتته الفرصة للعودة إلى المغرب الأقصى والانتقام من زعيم زناتة الذى أجلى قومه عن مضاربهم ، فكافأه الأمويين بأن يكون واليهم على المغرب الأقصى. بذلك تمكن خلفه من إقامة إمارة مستقلة لمكناسة الشمال فى منطقة أجرسيف بعد أن اندلعت الفوضى فى الأندلس ، وأفضت إلى القضاء على الخلافة الأموية هناك. وظل أمراء مكناسة الشمال يتوارثون هذه الإمارة

حتى قضى عليها المرابطون فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى.

أوردت الدراسة دور مكناسة الشمال فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المغرب الأقصى أبان القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادى عشر الميلاديين ، ورصدت الأهمية الاستراتيجية والتجارية لموقع مضارب مكناسة الشمال إذ تمكنت بفضل مضاربها من السيطرة على أهم خط تجارى بين الشمال حيث البحر المتوسط والجنوب حيث الطرق التجارية إلى بلاد السودان مخزن الذهب والرقيق آنذاك ، وكذلك بين الشرق حيث مصر والعالم الإسلامى ، والغرب حيث الأندلس وغربى أوربا ، لأن مضيق تازا حيث تضرب بطون مكناسة الشمال هو المعبر الوحيد بين المغربين الأقصى والأوسط ولم تغفل الدراسة إسهامات مكناسة الشمال فى الأنشطة الاقتصادية الأخرى من زراعة ورعى وتربية الأغنام والماشية واستنتاج الخيل ، ناهيك عن الأنشطة التعدينية التى قامت بها مكناسة الشمال مثل استخراج الذهب وغيره من الجبال الواقعة فى مضاربها ، وكذلك دورها فى الصناعات وإن كانت بدائية. ورصدت الدراسة التحولات الاجتماعية فى مكناسة الشمال بعد أن تصدرت الحياة السياسية فى المغرب الأقصى ، وهيمنت على أهم مصادر اقتصاديته ممثلة فى تجارة السودان ، وأبانت الدراسة أيضا حياة البداوة التى عاشتها القبيلة ، والنظم والأعراف القبلية السائدة فيها والتى شكلت كيانها والتى لم تتخل عنها حتى عندما تصدرت الحياة السياسية. وعلى الصعيد الثقافى أبانت الدراسة أن بداوة مكناسة الشمال وقفت حائلا دون إسهام القبيلة فى الحياة الثقافية أبان فترة الدراسة إلا بقدر يسير خاصة فى مجال الفقه وغيره من العلوم النقلية ، وإن زاد إسهامها بعد ذلك بقرون. أما نظم الحكم الذى أخذت بها إمارة مكناسة الشمال فكانت قليلة وذلك لبداوة القبيلة ؛ فقد كان لزعيمها من يكتب رسائله إلا أنه لم يتخذ ألقابا أو وزيرا أو حاجبا كما لم تقدم المصادر أو كتب العملات دليلا على أنه سك العملة باسمه.

مجمل القول. أن مكناسة الشمال تاهت بين أغمار القبائل عندما تكاتفت بطونها وصارعت بعضها البعض ، ولم تجد زعامة تلتف حولها ، ومن ثم أغفل المؤرخون ذكرها ولكن عندما وجدت هذه الزعامة وأخضعت بطون مكناسة الشمال لطاعتها رغباً ورهباً حتى باتت قوة لها وزنها لعبت دوراً رئيسياً فى تاريخ بلاد المغرب منذ قيام الخلافة الفاطمية وحتى استولى المرابطون على المنطقة*